

في أفق السياسة العالمية

بين تركيا وروسيا

ما فتئت روسيا طوال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تتحرش بتركيا وتنقم عليها وقوفها عند المضائق وعلى منفذ البحر الأسود تسد في وجهها طريق الوصول إلى مياه البحر المتوسط الدافئة ، وما زالت تستعدى عليها الشعوب السلافية التي كانت خاضعة لسلطان تركيا وتناصرها سرّاً وعلانية ، حتى توات على تركيا الثورات والحروب وتعاقبت عليها الهزائم ، وأخذت الولايات المسيحية تنفصل عنها واحدة تلو الأخرى ، وتداعى البنيان حتى أوشك أن ينهار كله وتصبح تركيا أثراً بعد عين ، لولا بقية من حيوية الجندى التركي الباسل ، ولولا ديبب الخلاف بين الدول الكبرى بسبب التنافس على أملاك الدولة . ولقد نشأ من ضعف تركيا وبقائها على هذه الحال اليأسة زماناً ما عُرف في التاريخ بالمسألة الشرقية و « الرجل المريض » .

ولو قدر للطامعين في ميراث الرجل المريض أن يتفقوا فيما بينهم على توزيع ذلك الميراث وتحديد مصير المضائق والقسطنطينية ما توانوا لحظة واحدة في الإجهاز على ذلك المريض ليققسموا فيما بينهم تركته . وقد سبق في نهاية القرن الثامن عشر أن آنتست روسيا ضعفاً حربياً من بولنده وهي جاريتها من الناحية الغربية ورأت فيها تحاذلاً شبيهاً بما كان في تركيا ، فلم تتردد في الاتفاق مع حليفتيها بروسيا والنمسا على تقطيع أوصال بولنده وتجزئتها مرة وأخرى وثلاثة حتى أتت عليها جميعاً ، وانمحت بولنده من خريطة أوروبا السياسية .

ولم يكن هناك ما يمنع من أن يكون هذا مصير تركيا أيضاً في القرن التاسع عشر لولا رحمة من الله أدركت الرجل المريض ؛ فقد ظل الورثة مختلفين بشأنه حتى قامت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ ودخلتها تركيا إلى جانب ألمانيا ، فأيقن الورثة أن تركيا قد حان حينها ، وأن آخرة الرجل المريض قد دنت ، وأنه لا حرج

لروسيا أعز أمانها السياسية . وفي سبيل كسب الحرب ضحت كل من بريطانيا وفرنسا بما بذلنا من الجهود الدائبة في أثناء القرن التاسع عشر لمنع الدب الروسى من التوغل جنوباً نحو البحر المتوسط .

وجاءت المعاهدة الثانية في مايو سنة ١٩١٦ حين التفت الحلفاء إلى الجانب الشرقى من التركة ، فانفقوا بمقتضى المعاهدة التى عرفت باسمى المندوبين الانجليزى والفرنسى على التوالى سيكس بيكو Sykes-Picot على أن تأخذ روسيا معظم بلاد أرمينية ، وأن تكون بلادالمشرق تحت نفوذفرنسا ، وفلسطين والعراق تحت نفوذ بريطانيا . وكملت اتفاقات التقسيم بمعاهدة مع إيطاليا نالت بها جزر الدوديكانيز وأزمير وجزءاً كبيراً من الساحل الغربى للأناضول ، وباتفاق مع الشريف حسين أمير مكة على إعلان الثورة ضد الأتراك وتكوين دولة عربية تضم بلاد العرب وأجزاء أخرى داخلة فى نطاق معاهدة سيكس بيكو .

وبذلك لم يبق للرجل المريض مجال حيوى يعيش فيه حتى يلفظ نفسه الأخير سوى دفعة محدودة فوق هضاب الأناضول أبى كرم الحلفاء إلا أن يحفظوها له لتكون فيه مقبرة جنسه ومثواه الأخير .

ولكن عناية الله كانت تلحظ الرجل ، فأدركته الرحمة الإلهية على يد أقرب الوارثين إليه داراً وألد أعدائه خصومة فى الوقت نفسه وهى روسيا . فى مارس سنة ١٩١٧ والحرب لا تزال فى عنفوانها قامت الثورة البلشفية ، فانسحبت القوات الروسية من الحرب ، وأعلن الثوار أنهم يؤمنون بالتعاون والمساواة بين الشعوب ، ويستنكرون اغتصاب الأراضى التى ليست لهم ، وفرض الغرامات الحربية ، ولا يقرون المعاهدات السرية ويتبرءون منها ومن شروطها . وكانت نتيجة ذلك أنهم نزلوا عما وعدوا به بمقتضى معاهدة لندن السرية سنة ١٩١٥ . فلما كسب الحلفاء الحرب فى سنة ١٩١٨ وسارت مواكب النصر فى طريقها إلى القسطنطينية لم تكن روسيا فى الموكب ولم يسمح لها القدر أن ترفع رايتها على معقل الأتراك وحصن الإسلام فى ذلك الوقت ، فقد تألفت لجنة دولية لحراسة المضائق واحتلال القسطنطينية . وتلفت الحلفاء يمينا وشمالا يبحثون عن دولة تصلح للانتداب على هذه المنطقة العظيمة الخطر . فأبت فرنسا أن يكون الانتداب لانجلترا ، وتوجست انجلترا الشر من نيات فرنسا ، وكاد الأمر يستقر على الولايات المتحدة لو لم تنجح أمريكا فى ذلك الوقت إلى سياسة

بين تركيا وروسيا

العزلة الدولية ونبذت سياسة ولسون ومعها ميثاق العصبة والانتدابات . وعلى ذلك لم يكن هناك مفر من بقاء الاحتلال العسكري والإشراف الدولي على القسطنطينية والمضائق .

وكانت معاهدة « سيفر » المشؤومة في أغسطس سنة ١٩٢٠ وفيها أقر الرجل المريض الوصية التي أعدوها له ، فقد استقل الحجاز وانفصلت الولايات العربية ، وأخذ الإغريق تراقيا وجزر الأرخيبيل ، وأخذت إيطاليا جزر الدوديكانيز وجزءاً من آسيا الصغرى ، واستقلت أرمنية وكرديستان ، وتسابقت إيطاليا واليونان على أزمير وغربي الأناضول فاحتلتها اليونان بمساعدة الحلفاء ، وظلت اللجنة الدولية التي تمثل الحلفاء تتحكم في القسطنطينية والمضائق كما تألفت لجنة دولية أخرى للتصرف في الشؤون المالية .

وبينا الرجل المريض يعالج سكرات الموت وشمهاده الوفاة التي سجلت في سيفر تتناقلها أيدي الحكومات للموافقة عليها ، إذا بروح حديدة تنبعث من جسم الرجل المريض الميت فتتمصق قائداً فذاً من صباط الجيش التركي مينسل من غرفة الموت ماضياً في طريقه إلى هضاب الأناضول حيث قرر الحلفاء أن تكون مقبرة الجنس التركي . ومن هذه الهضاب دوى صوت الثورة الكيالية في يوم من صيف سنة ١٩١٩ فكأنما نفخ في الصور ، وكأنه يوم النشور ، فإذا الحياة تدب في أجسام الموتى وإذا الهزيمة والجوع والعوز تتلاشى أشباحها أمام إرادة أمة قد صممت أن تحيا مستقلة عزيزة الجانب لاسلطان لأجنبي عليها وإن تألبت عليها جميع القوى الغاشمة .

عند ذلك تلاقى الثورة الكيالية في تركيا والثورة البلشفية في روسيا ، وإن لم يقر الترك مبادئ الشيوعية . فكلتا النهضتين كانت بعناً جديداً لأمة مغلوية خلقتها خلقاً جديداً ، وكلتاها قضت على عناصر الرجعية والاستبداد واستعدت لكفاح الأجنبي الذي كان يتمنى جاهداً لو استطاع القضاء على الثورتين . وكان نزول روسيا عن معاهدة لندن السرية في سنة ١٩١٥ قد بعث الطمأنينة في نفوس الأتراك الكياليين فتقاربت مساعي الدولتين ، وسرعان ما اعترفت روسيا بحكومة أنقرة الجديدة ، وحل محل العداوة القديمة بين الدولتين عهد صداقة وإخاء توطدت أركانه بعقد معاهدة الصداقة بينهما في سنة ١٩٢١ إذ اتفق الحليفان على تسوية مسائل الحدود الشرقية بينهما ليفرغاً لمواجهة

بين تركيا وروسيا

القوات الأجنبية التي كانت تناوئها من الغرب ، فاحتفظت تركيا بقارص وأردهان وارتيفان على الحدود الشمالية الشرقية ، كما استردت روسيا باطوم وضمت جورجيا وأرمينية إلى جمهوريات السوفيت .

ولما أمن الكماليون على حدودهم من ناحية الشرق سدوا ضرباتهم نحو الأجنبي ، فأنجلى الفرنسيون من شرق الأناضول ، وآثر الطليان الأيزجوا بأنفسهم في حرب جديدة ، وبقي الإغريق ولا نصير لهم سوى بريطانيا . وكانت الدول المتحالفة قد سرحت جيوشها بعد عقد الصلح ، وكانت الشعوب قد سئمت الحرب واستنكرت محاربة الأتراك وهم في عقر دارهم . لذلك لم يلق الإغريق من بريطانيا إلا معارضة بحرية لا تكاد تذكر إلى جانب الروح القوية المتدفقة التي كانت تسيطر على الكماليين وظلت تقودهم من نصر إلى نصر حتى دحروا الإغريق في معركة سقاريا الشهيرة وقذفوا بهم إلى البحر ، فأنجبلوا عن أزمير والأناضول من غير رجعة بعد أن أشعلوا النار في المدن والساكر وكل ما صادفهم في منحدرهم إلى البحر .

بعد ذلك التفت الكماليون إلى القسطنطينية والمضائق ، وكادوا يهاجمون القوات البريطانية المرابطة بها بعد انسحاب الفرنسيين والطيان لو لم يسارع الحلفاء إلى مواجهة الحقائق ومفاوضة الكماليين في الصلح . وكان جل أماني الأتراك أن يمزقوا شهادة الوفاة التي خطتها يد الحلفاء ضد تركيا في « سيقر » وأن يعلنوا للعالم ميلاد تركيا الجديدة . فقرر الرأي على عقد مؤتمر الصلح في يولية سنة ١٩٢٣ في « لوزان » البلد المحايد ، لا في باريس ولا في لندن .

وفي هذا المؤتمر لم يعل الحلفاء شروطهم كما أملوها على ألمانيا والنمسا في فرساي وكما اعتادوا أن يملوها على تركيا من قديم . فقد أخذ عصمت باشا ممثل تركيا الجديدة مكانه في المؤتمر مواجه لورد كيرزون ممثل إنجلترا ، وجعل يعرض مطالب تركيا ويرد على اللورد حجة بحجة حتى كسب منه الصلح . ومن العجيب أن يكون « شبين » المولود الجديد في هذا المؤتمر هو « شيشرين » Chicherin ممثل حكومة السوفيت وهي وإن لم تكن تربطها في ذلك الوقت بدول الحلفاء صلات سياسية أو اقتصادية قد دعيت لتبدي رأيها في مناقشة مشكلة المضائق ، فكان ممثلها أقوى نصير لتركيا وكان هو محاميا الأول ضد الحلفاء عامة وضد بريطانيا بصفة خاصة .

بين تركيا وروسيا

وكانت بريطانيا التي ظلت طوال القرن الماضي تناضل عن استقلال تركيا وسلامة كيائها ضد روسيا، وتنادى في سبيل هذه الغاية بضرورة التمسك بحق السلطان في إغلاق المضائق أمام جميع السفن الحربية منعاً لروسيا من التسلل بأساطيلها إلى البحر المتوسط — قد جاءت إلى مؤتمر لوزان تدعو الدول إلى إعلان حرية البحار وحرية الملاحة داخل المضائق، وتطلب إلى تركيا عدم تحصينها وزرع سلاحها لتكون منطقة محاذة حرة للجميع. وظاهر أن هذه النظرية الجديدة لم تكن في صالح تركيا ولا روسيا. فحيدة المضائق تحرم على تركيا تسليحها وتعرضها لهجوم الأعداء، كما تيسر هذه الحيدة لبريطانيا وحلفائها اختراق المضائق بأساطيلهم الحربية في أى وقت يشاءون، وبذلك تظل روسيا أبداً مهددة بالعدوان.

لذلك ناضلت روسيا بقوة لدحض النظرية الجديدة ولكنها لم تفلح. ولم يسع تركيا إزاء ما كسبته في لوزان من استرداد أدرنة وتراقيا ومنطقة المضائق وعدم تقييدها بشروط حرية كالتى قيدت بها ألمانيا — لم يسعها أن تسترسل في معارضة إنجلترا، فوافقت على سياسة الحيدة التى أرادوها للمضائق بعد أن اعترفوا بحقها في تأمين نفسها بتحسين القسطنطينية وجعلها قاعدة بحرية بها حامية حربية قوتها ١٢,٠٠٠ جندي. وبقيت هذه الحالة قائمة أكثر من اثنتى عشرة سنة استطاعت تركيا فى أثناءها أن تفرغ لتنفيذ برنامج الإصلاح الكمالى الذى خلق من تركيا دولة فتيحة موطدة الأركان عزيرة الجانب ومن الأتراك شعباً جديداً ناهضاً سرعان ما استرعى العالم بنهضته وحيويته.

ولم تنس تركيا لروسيا مؤازرتها لها فى أيام محنتها، كما ظلت روسيا تذكر بكل خير صداقة تركيا وانضمامها إلى إيران والأفغان فى معاهدات ودية مع حكومة السوفييت فى الوقت الذى كانت فيه حكومات الغرب تعتبر مجرد التنويه بالبلشفية جريمة لا تغتفر وتآمرأ على قلب نظم الحكم يعاقب عليه بالنفى والتشريد.

ولما فرغت كل من تركيا وروسيا من تثبيت قواعد نهضتها الثورية فى بلادها، وبانت ثمرات الإصلاحات الداخلية الشاملة فى البلدين، كانت آثار النظم الفاشية والنازية قد ظهرت واضحة لكل ذى عينين، وبدا للشعوب أن المواثيق والمبادئ

بين تركيا وروسيا

التي أعلنتها عصبة الأمم لن تغني فتيلاً عن الحرب المتوقعة ، وأيقن ستالين أن بلاده مستهدفة لعدوان النازية عاجلاً أو آجلاً إن لم يكن من ناحية هتلر في الغرب فمن ناحية اليابان في الشرق ، وقد تنمرت اليابان على الصين واغتصبت منها منشوريا في سنة ١٩٣١ متحدية في ذلك عصبة الأمم . وكذلك أيقن كمال أتاتورك أن تركيا معرضة لخطر داهم من ناحية موسوليني والفاشية ، وأن مصلحة البلدين تركيا وروسيا تقضى عليهما بالخروج من العزلة الدولية التي فرضها علي نفسيهما . حتى لقد بلغ الأمر بكامل أتاتورك أن يهجر إسطنبول نهائياً ويتخذ عاصمته أنقرة ، وحتى لقد كادت الدول تعتبر الدولتين آسيويتين ، وأخيراً نبذت كلتا الدولتين سياسة العزلة .

أما روسيا فقد ظفرت في سنة ١٩٣٤ بمكان دائم في مجلس العصبة ، ثم دخلت مع كل من فرنسا وتشيكوسلوفاكيا في معاهدة ، وكانوا جميعاً يخشون عدوان ألمانيا على أراضيهم . وبدأ ستالين مشروع السنوات الخمس مرة بعد مرة ، حتى شهد العالم وهو مشدوه مبهوت إحدى معجزات القرن العشرين الاقتصادية حين رأى روسيا تتحول إلى بلاد صناعية تنتج ما تحتاج إليه البلاد حربيًا واقتصاديًا إلى جانب نهضة زراعية اجتماعية وثقافية أصبحت مضرب الأمثال في مداها وكفائتها؛ فكأنما كان ذلك كله في سرعته سحر ساحر لا مجهود بشر !

وأما تركيا فواصلت نهضتها الصناعية والثقافية أيضاً ، واتجهت في سياستها الخارجية خطة مبتكرة ما لبثت أن رفعتها إلى مكان الزعامة بين دول البلقان والشرق الأوسط . وقد بدأت تركيا خطتها هذه بأن عقدت معاهدة صداقة مع الإغريق ، ثم أقنعت دول البلقان بأنه لا فائدة ترجى لهم من الاستناد إلى دولة من الدول الكبرى وأن نصجهم السياسي وحرصهم على عدم الاتزلاق في منحدر المنافسات الدولية يمتحان عليهم أن يعتمدوا على أنفسهم أولاً ، وأن يتحدوا جميعاً ليكونوا صفًا واحدًا أمام كل عدوان . وعلى أساس هذه الخطة تكوّن اتحاد البلقان سنة ١٩٣٤ ، ولم تشذ سوى ألبانيا وكانت في سياستها تابعة لإيطاليا ، وبلغاريا وكانت لها مطامع ترمي إلى تحقيقها من وراء عدم التمسك بالحالة القائمة .

ثم التفتت تركيا إلى الشرق الأوسط فوثقت علاقاتها مع إيران الجديدة وجعلت تسعى بالصلح بين أعضاء الأسرة الشرقية الإسلامية حتى تم تكوين

بين تركيا وروسيا

ميثاق سعد اباد في سنة ١٩٣٧ بين تركيا والعراق وإيران وأفغانستان على الأسس نفسها التي قام عليها ميثاق البلقان .

ولما شرعت إيطاليا تتحدى العصبة وتغندى ظلاماً على أثيوبيا وتبعثها ألمانيا باحتلال إقليم الرين وتحصينه وإعلان الخدمة الإجبارية مخالفة بذلك نصوص معاهدة فرساي و ميثاق لوكارنو ولم تقو العصبة على رد عدوان إيطاليا او كبح النزعات الجامحة في ألمانيا - اتمهزت تركيا الفرصة لتعديل معاهدة لوزان واسترداد كامل حقها في تحصين المضائق وتسليحها حتى لا يتعرض أمنها وسلامتها لعيب دولة مهاجمة كإيطاليا مثلاً . وكانت العلاقات بين روسيا وتركيا لم تزل ودية ، فأيدت روسيا تركيا في طلبها هذا لتكون حارسة لها على البوغاز فيتمنع تسرب أساطيل الأعداء إليها . وكان من صالح إنجلترا كذلك أن يكون أصدقاءها في البحر المتوسط مسلحين وبمأمن من هجمات العدو المشترك .

وعلى ذلك عقد مؤتمر مونترو سنة ١٩٣٦ بين تركيا وبريطانيا وفرنسا واليابان وروسيا وبقي دول البلقان ، وقرروا إلغاء القيود الدولية التي وضعت في مؤتمر لوزان بشأن الرقابة على المضائق ، ونص فيه على حق تركيا في تسليحها وتحصينها كما تريد . ومع أنه قد نص في المعاهدة على أن دول البحر الأسود لها حق مرور أساطيلها في المضائق - ومن هذه الدول روسيا طبعاً - فإن المعاهدة أبت حق التصريح بالمرور ومنعه بيد تركيا نهائياً تستعمله كما تشاء سواء في السلم أو في الحرب ، وهذا ما يضايق روسيا ويقض مضجعها الآن .

ولما اكفهر الجو الدولي في أوروبا وأوشكت أن تندلع شرارة الحرب العالمية الثانية كانت العلاقات بين روسيا وتركيا قد بدأت تتوتر؛ فقد ارتابت روسيا من سياسة تركيا حين وثقت الروابط بينها وبين إيران وتزعمت اتحاد سعد اباد في حين كانت روسيا تطمع أن تسيطر نفوذها على الأقاليم الإيرانية المتاخمة لجمهوريات السوفييت ، وتزنو ببحرها إلى حقول البترول في الشرق الأوسط ، لتدخر مواردها من بترول القوقاز . وكذلك ساءها من تركيا انها تزعمت دول البلقان وكادت تخلق اتحاداً سلافياً إذا كان الغرض المباشر منه منع إيطاليا من العدوان فما لا شك فيه أنه سيقوى على مر الزمن ويقف حجر عثرة في طريق روسيا نحو الجنوب . ومنذ نشأت هذه الريبة بين الدولتين سارت كل منهما على النهج الذي اختطته لنفسها ، فلم نعد نلاحظ في خططهما ذلك التناسق الذي كان يبدو جلياً في

بين تركيا وروسيا

الماضى . فبينما كانت تركيا ترتبط بمعاهدة الصداقة وتبادل المساعدة مع بريطانيا في سنة ١٩٣٦ كانت روسيا لم تزال حائرة مترددة بين ألمانيا وبريطانيا ، وكانت بريطانيا تعرض عليها الدخول في الحرب على حين كانت ألمانيا لا تريد منها سوى التزام الحيطة ، وعلى ذلك آثرت التعاقد مع ألمانيا .

ثم نشبت الحرب في سبتمبر سنة ١٩٣٩ فأعلنت تركيا حيدها وأخذت تحييط نفسها بما يؤكد هذه الحيطة ، فعقدت مع روسيا معاهدة عدم الاعتداء ، كما عقدت مع إنجلترا وفرنسا معاهدة تقضى بمساعدتها إذا هاجمتها دولة أوروبية . ولما رجحت كفة ألمانيا في أوائل الحرب عقدت مع تركيا سنة ١٩٤٠ معاهدة صداقة وتبادلنا أهم ما كان يلزمهما ، فأخذت تركيا عُدداً ومهمات حربية وأعطتها به معدن الكروم الذي كانت ألمانيا في ميسس الحاجة إليه في ذلك الوقت . وحاولت روسيا وقتئذ أن تقنع تركيا بفتح البوغاز لأساطيلها ، فأرسلت دعوة إلى رئيس الوزارة التركية لزيارة موسكو ، ولكن تركيا تمسكت بتعهداتها الدولية ولم تستمع لنداء صديقتها القديمة .

ثم تطورت الحرب وانتقلت خطاها إلى الشرق ، ومضت ألمانيا تخضع حكومات البلقان واحدة بعد أخرى . وخيل للناس أن تركيا لا بد داخله الحرب إلى جانب الحلفاء تنفيذاً لميثاق البلقان . ولكن دخول تركيا الحرب في ذلك الوقت لم يكن في صالح الحلفاء ؛ فقد كانوا في حاجة قصوى إلى السلاح ولم تكن تركيا في حالة تمكنها من مقاومة الألمان طويلاً ، فلو أنها دخلت الحرب لاستطاع الألمان بسهولة أن يأخذوها عمراً إلى آسيا ويهددوا قناة السويس وخليج العجم في آن واحد .

لذلك قبضت تركيا على حيدها وكانت في موقفها كالتقاضة على الجرء؛ فقد كانت ترى بعينها مصارع الشعوب التي داستها النازية بأقدامها الحديدية فتجفل وترناع . ثم دخلت الحرب في أهم أطوارها في صيف سنة ١٩٤١ إذ هاجم الألمان روسيا وأصبح من صالح الحلفاء أن يمهّدوا طريقاً للاتصال بها حتى يمدوها بما تحتاج إليه في كفافها من سلاح وغذاء ، وكان طريق المضائق إلى البحر الأسود هو أقرب السبل إلى روسيا ، فحاولوا إقناع تركيا بفتح الدردنيل والبسفور لسفنهم ، فأبت تركيا عليهم ذلك كما أبت على روسيا حينما كانت محالفة لألمانيا واضطر الحلفاء إلى الاتصال بروسيا ، إما عن طريق خليج العجم فأيران

والتوقاز ، وإما عن طريق البحر المتجمد من الشمال ، وكلا الطريقين وخاصة الثاني منهما طويل محفوف بالأخطار . ثم اشتد الضغط الألماني على روسيا ، وكادت ألمانيا تصل إلى آبار البترول بالقوقاز وباطوم ، وكان مما ينقذ روسيا أن تدخل تركيا الحرب فتهدد الجناح الأيمن للجيش الألماني الذي كان يستند إلى البحر الأسود ، ولكن عبثا حاول الحلفاء إقناع تركيا بالخروج من حيدتها ، وبقيت كذلك إلى أن لاحت في الجو بوادر النصر للحلفاء ، وبدأ الرؤساء يجتمعون في مؤتمرات موسكو والقاهرة وطهران في أواخر سنة ١٩٤٣ ودعى الرئيس إينونو إلى التحدث معهم في القاهرة ، وحينئذ قبلت تركيا أن تمنع تصدير معدن الكروم إلى ألمانيا ، ولكنها لم تعلن الحرب إلى جانب الحلفاء إلا في النهاية ، ليتسنى لها أن تشارك مع سائر الأمم المحاربة في مؤتمر سان فرانسيسكو .

ونقمت روسيا على تركيا موقفها الجأمد في إبان محنتها الكبرى ، فانقلبت الصداقة القديمة بينهما إلى عداوة أعادت إلى الذاكرة ما كان بين الدولتين في العهد القيصري من جفاء ومرارة وعداء مستحکم . لذلك لم يكن مستغربا أن تنذر روسيا تركيا في مارس سنة ١٩٤٥ برغبتها في إعادة النظر في معاهدة منترو وأن تتوتر العلاقات بين الحكومتين بدرجة استرعت اهتمام الدول . وتقضى المادة ٢٨ من معاهدة منترو بأن مدة المعاهدة عشرون سنة ، ولكن المادة ٢٩ تجيز للدول أن تطلب تعديل موادها في كل خمس سنوات من تاريخ سريانها ، وعلى ذلك تكون المعاهدة قابلة للتعديل في سنة ١٩٤٦ وقد انقضت عليها فترتان .

ويبدو أنه لن تستطيع تركيا أو أية دولة أخرى بعد أن خرجت روسيا من الحرب ، وهي أقوى دولة حربية في أوروبا ، بل لعلها في العالم — أن تحرمها حق المرور في المضائق بأساطيلها دون أن تستأذن في ذلك تركيا . فلم تعد روسيا تخشى مهاجمة الدول كما كانت في الماضي . بل هي على العكس يهيمها الآن أن تفتح أبواب المضائق لتتصل بسياسة البحر الأبيض المتوسط الذي برهنت الحرب الأخيرة على أنه المركز الرئيسي للنشاط الحربي العالمي . وقد بدأت روسيا تطالب بنصيبها في قواعده الاستراتيجية ، فأخذت مكانها إلى جانب إنجلترا وفرنسا وأمريكا في منطقة طنجة الدولية ، وجعلت تطالب بالوصاية على طرابلس ، ويقولون

إنها تطالب بمقعد في مجلس إدارة قناة السويس كما كانت تريد إيطاليا الفاشية ،
وبقاعدة حربية في منطقة المضائق نفسها .

ولن ترضى روسيا أن تستعيد تركيا مكاتها في البلقان ، فستعمل روسيا على
أن تكون لها الزعامة بين الشعوب السلافية ، ليكون مقامها بينها ك مقام الولايات
المتحدة من جامعة الجمهوريات الأمريكية ، بفارق واحد هو أن جمهوريات أمريكا
تتمتع باستقلالها وبسيادتها التامتين ، أما حكومات البلقان فتريدها روسيا
وفق نظامها وعلى هواها .

وتلقى تركيا الآن أشد العنت من جانب روسيا ؛ فهي تهددها من ناحية
البلقان ، وقد نشرت تفوذهها على حكوماتها جميعاً وخاصة بلغاربا التي لا تزال
تحلم « بأدرنة » ، وتهدها كذلك من ناحية إيران . فان حدود تركيا من جهة
الشرق تتاخم أذربيجان ، وإذا نجحت روسيا في فصل هذا الإقليم من جسم
إيران فستكون روسيا سداً حائلاً بين تركيا وإيران ، فلا يبقى بين الدولتين
ذلك الاتصال الوثيق الذي ساعد على تأليف ميثاق سعد اباد ، وستبدل روسيا
جهداً لمنع تجديد هذا الميثاق أو وصله بالجامعة العربية حتى لا تسترد تركيا
زعامتها القديمة .

وهناك جورجيا وأرمينية وكتاهما من جمهوريات السوفييت ، وهما تطالبان
تركيا بإعادة قارص وأردهان وأرنيقان . وكانت روسيا في سنة ١٩٢١ قد رضيت
بانضمام هذه الأقاليم إلى تركيا بعد استفتاء أهلها . على أن هذه الأقاليم كانت تحت
يد تركيا قبل سنة ١٨٧٨ حين استولت عليها روسيا ، فاحتفاظ تركيا بها الآن
لا يعدو أن يكون استرداداً لبضاعتها . والأتراك مصممون على الدفاع عن حقوقهم
وعن أرض الوطن شبراً فشبراً . وإذا أصرت روسيا على اقتطاع هذه الأقاليم
وتعديل معاهدة منترو وفق مصلحتها وعلى غير ما ترضى به تركيا ، فلن يمضى
وقت طويل حتى تظهر في أفق السياسة العالمية « مسألة شرقية » جديدة تختلف
من أجلها الدول وتتاضل فيها تركيا وتقف منها كما وقفت في سنة ١٩١٩
لا كما كان يقف الرجل المريض في الماضي . وسترى روسيا حينئذ أنها أمام
صخرة قُدَّتْ من عزمات أتاتورك العظيم .